

المحب الثاني

كان المحب الأول
هو تجربتي العميقة والمتكاملة بمعنى الكلمة
فقد سيطر على روحي وجسدي
وتملّك كل مشاعري وأفكاري
وصرت أناهم وأصحو على صوته وخيالاته
ولما أكاد أرى فتاة أخرى أروع منها
فهي النموذج الأمثل للجمال الساحر ،
ورقة المعشر ، وحلاوة الحديث..
وإذا غابت عني ولو ليوم واحد
كنت أهيم على وجهي ،
كتائه في الصحراء بدون معالم
أو ضارب في الغابة بغير دليل
وأظل أنتظر إطلالتها الحلوة
لكي تبعث في جسدي الروح
وتضئ وجه القمر في سمائي

كيف انتهى المحب الأول ؟
كما يحدث كسوف الشمس
فيكسو أرجاء الدنيا بالسواد ،
وكما يثور البركان النائم
فيقذف حممه النارية على
القري المجاورة ،
أو كما تهب العاصفة ،
فترفع أمواج البحر، وتبتلع السفن المسكينة فيه
هناك من بدأوا يقطعون خيوط المودة التي تربطنا
ويدمرون قصور الرمال التي شيّدها
ويرفعون بيننا جدارا من الصلب الذي يستحيل اختراقه

وكم كانوا سعداء للغاية ، ونحن نفترق!
 ذهب كل منا فى طريق..
 أما طريقي فكان ضيقا ، ومظلما ، وكئيبا
 عانيت فيه ما عانيت:
 آلام الوحدة ، وأوهام الأرق ،
 ومرارة الحرمان..
 وقد حاولت أن أنسى ، فما استطعت
 أن أتجاهل ، فما قدرت
 أن أستمع لمواساة أصدقائي ، فما تحملت
 ثم فى ذات مساء..
 عدت لنفسي
 راجعتها وراجعتنى
 عاتبتها وعاتبتنى
 وبعد طول جدال وممانعة..
 أقنعتنى!

مرت الأيام والشهور والسنوات
 وأنا أعيش مثل هيكل عظمى بدون روح
 وأنظر بعين مفتوحة ، لكنها لا تكاد ترى
 حتى كانت لحظة فارقة
 وضعتُها المصدفة المبحثة أمامي
 وجدهتها تأخذ بيدي من ذلك الظلام المحالك
 وتأتى بالبدر الساطع فتضعه بين يدي
 وتبسم لى ، فتتناثر النجوم من حولي
 ورحنا نتحدث طوال ليلة كاملة
 وحين حانت ساعة الوداع
 اتفقنا على أن نلتقى فى صباح اليوم التالى!
 ثم توالت اللقاءات..
 وبدأ القلب يخفق من جديد
 ووجدته يفرح لرؤياها ، وينقبض حين تغيب
 وبالفعل كانت تمر لحظات من بقايا الحب الأول
 لكننى كنت أقول لنفسي:
 إن القلب الذى سقط من سماء الحب الأول
 قد تلقته بكل حنان .. أحضان الحب الثانى
 وربما يكون الغد الذى سيأتى
 أفضل من الأمس الذى ولى..
 وهكذا أصبح الحب الثانى بالنسبة لى
 صفحة جديدة حلت محل الأول
 كان يتطابق معه فى بعض التفاصيل الصغيرة
 ويختلف عنه فى الكثير منها
 كان يمد القلب بنبض قوى
 وينفث فى الروح حياة جديدة
 حياة تمتلئ بالنشاط والحيوية
 وتُغلب الأمل الوليد على اليأس القانط
 وتُشجع على التمسك باليوم والغد
 بدلا من الانفصال البائس عنهما!
